هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون : وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوا يستهزئون بها ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد كما قال القائل : .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم .

وقوله تعالى : { من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار } من ههنا لبيان الجنس كقوله { فاجتنبوا الرجس من الأوثان } وقرأ بعضهم : والكفار بالخفض عطفا وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول { لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم } تقديره ولا { الكفار أولياء } أي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار ههنا المشركون وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير { لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار } .

وقوله { واتقوا ا إن كنتم مؤمنين } أي اتقوا ا أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع ا الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا كما قال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من ا في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم ا نفسه وإلى ا المصير } .

وقوله : { وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا } أي وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب { اتخذوها } أيضا { هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } معاني عبادة ا وشرائعه وهذه صفات أتباع الشيطان الذي [إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص أي ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل فإذا ثوب للصلاة أدبر فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه فيقول : اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين قبل السلام] متفق عليه وقال الزهري : قد ذكر ا التأذين في كتابه فقال { وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } رواه ابن أبي حاتم .

وقال أسباط عن السدي في قوله { وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا } قال : كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي : أشهد أن محمدا رسول ا قال : حرق الكاذب فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت فاحترق هو وأهله رواه ابن جرير و ابن أبي حاتم وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في

السيرة أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم ا أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحارث بن هشام : أما وا لو أعلم أنه محق لاتبعته فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى فخرج عليهم النبي صلى ا عليه وسلّم فقال [قد علمت الذي قلتم] ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول ا ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة أن عبد ا بن محيريز أخبره وكان يتيما في حجر أبي محذورة قال : قلت لأبي محذورة : يا عم إني خارج إلى الشام وأخشى أن أسأل عن تأذينك فأخبرني أن أبا محذورة قال له : نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول ا صلى ا عليه وسلّم من حنين فلقينا رسول ا صلى ا عليه وسلّم ببعض الطريق فأذن مؤذن رسول ا صلى ا عليه وسلّم بالصلاة عند رسول ا صلى ا عليه وسلّم فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخنا نحكيه ونستهزىء به فسمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع] ؟ فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا فأرسل كلهم وحبسني وقال [قم فأذن] فقمت ولا شيء أكره إلي من رسول ا صلى ا عليه وسلّم ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي رسول ا صلى ا عليه وسلّم فألقى علي رسول ا صلى ا عليه وسلّم التأذين هو بنفسه قال [قل ا أكبر ا أكبر أشهد أن لا إله إلا ا أشهد أن لا إله إلا ا أشهد أن محمدا رسول ا أشهد أن محمدا رسول ا حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح ا أكبر ا أكبر لا إله إلا ا] ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ثم أمرها على وجهه ثم بين ثدييه ثم على كبده حتى بلغت يد رسول ا صلى ا عليه وسلّم سرة أبي محذورة ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [بارك ا فيك وبارك عليك] فقلت : يا رسول ا مرني بالتأذين بمكة فقال [قد أمرتك به] وذهب كل شيء كان لرسول ا صلى ا عليه وسلّم من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول ا A فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول ا A فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول ا A وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة على نحو ما أخبرني عبد ا بن محيريز عن أبي محذورة واسمه سمرة بن معير بن لوذان أحد مؤذني رسول ا A الأربعة وهو مؤذن أهل مكة وامتدت أيامه Bه وأرضاه